

الوافي في الوفيات

عبد الله بن مسلم الهذلي . كان شاعراً موالياً لبني أمية وهو المعروف بأبي صخر . لما طهر عبد الله بن الزبير بالحجاج دخل عليه أبو صخر الهذلي وكان عارفاً بهواه في بني أمية فمنعه عطاءه فقال له : علام تمنعني حقاً لي وأنا امرؤ مسلم ما أحدث في الإسلام حدثاً ولا أخرجت من طاعة يداً فقال : عليك ببني أمية فاطلب عطاءك عندهم ! .

فقال : إذاً أجدهم سبطاً أكفهم سمحة أنفسهم بذلاً لأموالهم وأبين لمجتديهم كريمةً أعراقهم شريفةً أصولهم زاكيةً فروعهم قريباً من رسول الله ﷺ نسبهم وسببهم ليسوا بأذنان ولا وشائط ولا أتباع ولا هم في قريش كفقة القاع لهم السؤدد في الجاهلية والملك في الإسلام لا كمن لا يعد في غيرها ولا نفيها ولا حكم آباؤه في نقيها ولا قطميرها . ليس من أحلافها المطيبين . ولا من ساداتها المطعمين ولا جودائها الوهابين ولا من هاشمها المنتخبين ولا عبد شمسها المسودين كيف تقابل الرؤوس بالأذنان ؟ أين النصل من الجفن والسنان من الزج والذنان من القدامى ؟ وكيف يفضل الشحيح على الجواد والسوقة على الملك والمجيع بخلاً على المطعم فضلاً ؟ فغضب ابن الزبير حتى ارتعدت فرائصه وعرق جبينه واهتز من قرنه إلى قدمه وامتقع لونه ثم قال : يا ابن البوالة على عقبيها . يا جلف يا جاهل أم والله لو لا الحرمات الثلاث حرمة الإسلام وحرمة الحرم وحرمة الشهر الحرام لأخذت ما فيه عيناك . ثم أمر به إلى سجن عارم فحبس فيه مدة ثم استوهبته قريش وهذيل ومن له من قريش خؤولة في هذيل فأطلقه بعد سنة وأقسم ألا يعطيه عطاءً مع المسلمين أبداً . ولما كان عام الجماعة وولي عبد الملك وحج فلقيه أبو صخر فلما رآه عبد الملك قربه وأدناه وقال : لم يخف علي خبرك مع الملحد ولا ضاع لك عندي هواك ولا مولاتك فقال : إذا شفى الله نفسي ورأيت قتيل سيفك وصريع أوليائك مصلوباً مهتوك الستر مفرق الجمع فما أبالي ما فاتني من الدنيا ثم استأذنه في الإنشاد فأذن له فمثل قائماً وأنشأ يقول : من الطويل .

عفت ذات عرقٍ عصلها فرائمها ... فدهناؤها وحشٌ وأجلى سوامها .

إلى عقد الجرعاء من جمل أقفرت ... وكان بها مصطافها ومقامها .

إذا اعتجلت فيها الرياح فأدلجت ... عيشاً جرى في جانبها قمامها .

وإن معاجي في القتام وموقفي ... بدراسة الربيعين بالٍ ثمامها .

لجهلٍ ولكني أجلي ضماناً ... وأضعف أسرار الفؤاد سقامها .

فأقصر فلا ما قد مضى لك راجعٌ ... ولا لذة الدنيا يدوم دوامها .

وفد أمير المؤمنين الذي رمى ... بجأواء جمهورٍ تسيل إكامها .

من ارض قرى الزيتون مكة بعدما ... غلبنا عليها واستحل حرامها .
وإذ عاث فيها الفاسقون وأفسدوا ... فخيبت أقاصيها وطار حمامها .
فشج بهم عرض الفلاة تعسفاً ... إذا الأرض أخفى مستواها علامها .
له عسكر طاحي الصفوف عرمرمٌ ... وجمهورةٌ يثني العدو اقتحامها .
فطهر منهم بطن مكة بعدما ... أبي الضيم والميلاء حين يسامها .
فدع ذا وبشر شاعري أم خالدٍ ... بأبيات ما خزي طويل عرامها .
فإن تبد تجدع منخراك بمديةٍ ... مشرشرةٍ حرى حديدٍ حسامها .
وإن تخف منها أو تخف من أذاتنا ... تنوشك نابا حيةٍ وسامها .
فلو لا قریشٌ لا سترقت عجوزهم ... وطال على قطبي رجاها احتزامها .
هم البيض إقداماً وديباج أوجهٍ ... وغيثٌ إذا الجوزاء قل رهامها .
فأمر له عبد الملك بما فاته من العطاء وبمثلة صلةٍ من ماله وكساه .
عبد الله بن مسلمة .

القعنبي